



آفاق الوضع العربي الراهن: التهديدات، التحديات والفرص



2014/9/24

عقد المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق حلقة نقاش تحت عنوان "آفاق الوضع العربي الراهن: التهديدات، التحديات والفرص"، في فندق الـ"كورال بيتش" بتاريخ 23 أيلول 2014 شارك فيها نخبة من السياسيين، والأكاديميين والباحثين والمهتمين.

بدأت الجلسة الأولى من أعمال حلقة النقاش بكلمة ترحيب ألقاها رئيس المركز الأستاذ عبد الحليم فضل الله الذي قدّم تلخيصاً لورقة عمل أعدها المركز. تحت عنوان: تحديات الوضع العربي الراهن وفرصه: محاولة تحليل واستشراف حيث تحدث عن التحولات في العالم العربي، التي لم تتضح معالمها ولم تحدد الوجهة الجديدة للمنطقة، فصار البحث عن حلول للأزمات المتصاعدة، بديلاً عن التقدم الى الأمام في رحلة تحقيق الحرية والعدالة والاستقلال.

وأضاف: أدى تقدم القوى المتطرفة على المسرح الإقليمي وتصاعد نزعتها التدميرية، الى ارتفاع حدة المخاطر، ومهدت السبيل أمام موجة صراع هويات لا أفق له، وقد زاد التدفق المتسارع للتطورات وكثافة اللاعبين على مسرح ضيق، من صعوبة استيلاء مشروع عربي وإقليمي بديل، ووضع دول المنطقة وشعوبها أمام تحديات كبيرة، وعقبات يصعب تذليلها ضمن ما هو قائم من معادلات ورؤى.

والى جانب ما تقدم، تتعاظم المخاطر الإستراتيجية، فما يحدث في المنطقة لا يقف عند حدود إطاحة الاستقرار الداخلي، بل يفاقم الخلل القائم في موازين القوى مع العدو، وهو يستنزف دول المواجهة في صراعات داخلية مدعومة من الخارج، لكن بيئة المخاطر هذه حافلة بالفرص أيضاً، ففي خضم السيولة الإقليمية الراهنة وتحولات النظام الدولي، طفت على السطح تيارات واتجاهات كانت مغيبية في السابق، وأسهم وجودها في توسيع المجال السياسي. وقد غدا صعباً تحكّم قوة عالمية واحدة بالسياسة العالمية، في وقت صار فيه البعد الإقليمي هو العنصر الغالب على النزاعات والقضايا العالمية على حساب البعدين المحلي والعالمي. كل ذلك يفتح أفق الوضع الراهن على الاحتمالات والإمكانات الآتية التي تمثل كل واحدة منها وجهة نظر مطروحة للنقاش:

- تزايد المصلحة المشتركة عند القوى والفئات المنخرطة في الصراع، والمتضررة في الوقت نفسه من امتداد نيرانه، بالوصول الى تسوية تاريخية بين المكونات الأساسية في المنطقة، مبنية على حوار عميق وتفاهات حقيقية فيما بينها.
- انحسار التبعية، ففي ظل الحراك السياسي والشعبي في دول عربية عدة، لم يعد سهلاً إخضاع المنطقة لمسار الارتهان المطلق للإرادة الخارجية كما كان الأمر سابقاً. ويعد اهتزاز الحدود السياسية الموروثة عن الحقبة الاستعمارية فرصة أخرى.
- عودة الدولة المركزية محمية بالجيوش، وهذا من شأنه محاصرة حركات العنف والتكفير وضمان الاستقرار. وهناك من يتفاعل بإمكانية عودة مصر الى تأدية دورها كقطب فعال وتوازني في المنطقة العربية.
- وتابع هذا المسار لا يكتمل بتغيير آليات إنتاج السلطة وتداولها فحسب، بل يستلزم توفير شروط تأسيسية وجيو- سياسية تتمثل خصوصاً في ثلاثة أمور:
- أ- المصالحة بين المكونات السياسية والاجتماعية والعرقية والدينية في إطار المشاريع المذكورة.
- ب- التوازن مع العدو من خلال تعبئة القوة العربية الذاتية وإقامة تحالفات مناسبة مع المحيط، ضمن مسار مقاومة شامل ويعيد الأمد.
- ج- التعامل بجدية من التحدي الاقتصادي الذي ينشر المظالم الاجتماعية ويسهم في خلق بيئة مضادة للتغيير، تعزل العناصر الشابة خصوصاً عن المشاركة الفعالة في هذه العملية، وقد جعلها رهينة في أيدي القوى العدمية والتمتددة.
- ثم تحدث د. احمد عبد الشفيق عيسى (مصر) فرأى أنه من الصعوبة في ظل هذه الظروف التفكير ببناء مشروع تكاملي عربي.
- وقال لقد وصلنا اليوم إلى مرحلة التهديد الوجودي أمام كل وحدة وطنية عربية.
- وأضاف إن المنطقة العربية تواجه تيار العنف الدموي الاسلاموي الذي يهدف إلى تصفية الكيانات الوطنية، وبناء بني مبعثرة على أشلاء هذه الكيانات.

وسأل: هل يمكن لمصر مثلاً أن يكون لها دور معين في مجال السعي إلى تكامل عربي قصير وطويل. ووصف التحالف المصري الخليجي بالاضطراري نظراً لدعم دول الخليج لمصر بعد 2013/6/30.

فيما وصف العلاقة مع تركيا بأنها معادية ومع إيران بأنها غامضة، ومع روسيا لها تجاذب مزدوج، متسائلاً هل ستقع مصر تحت جاذبية التناقض أم سيكون لها استقلالها في الدور؟ شرط أن يساعدها القوميون العرب.

وتحدث الأستاذ نصري الصايغ فقال: إنه زمن النهايات وليس زمن البدايات كما ذكرت الورقة. نحن بعد مئة عام وصلنا إلى النهايات، وعندما تصل أمة إلى النهاية هذا يعني عدم عودة الحياة لها وفيها.

ووصف الربيع العربي بأنه كان علاجاً نافعاً لطبائع الأمن المزمّن ونظام التبعية الدولية.

وقال: سقوط الربيع العربي تبرعت "داعش" ومؤسساتها الأمنية والقتالية والشرعية وجيوشها بإعلان زمن النهايات العربية. وتابع: ما هو موجود هو الدولة الإسلامية العظمى في العراق (داعش)، في حين أن باقي الدول تستجد بأمريكا لمواجهة داعش.

وتحدث الأستاذ محمد خواجه فقال: إن الانتفاضات التي كتب لها النجاح انتصرت على الإطاحة بالرؤوس وليس بهيكلية الحكم.

وطرح سؤالاً: ماذا علينا للخروج من لُجّة هذا الصراع الدموي؟

وقدم عدداً من الإجابات والاقتراحات للمساهمة، منها التمحور حول تجريم القوى التكفيرية، وتشكيل أطر نابغة من الأزهر والنجم وقم لتحرير اقتتال المسلمين بين بعضهم وضد المسيحيين، وأيضاً في إعادة النظر في البرامج الدينية في بعض الدول العربية، وإغلاق القنوات الفضائية التي تحض على الكراهية، معتبراً أن ضرب "داعش" يوفر على المدى البعيد شبح الفتنة.

وتحدث الدكتور خير الدين حسيب عن أربعة عوامل لإنجاح أي انتفاضة، ومنها كسر حاجز الخوف، وألا تكون عنفية، والموقف الجريء، كما عرض للأوضاع في باقي الدول العربية التي شهدت انتفاضات.

أما الدكتور عبد الإله بلقزيز فقد أبدى بعض الملاحظات ومنها أنه منذ دخول الاستعمار إلى ديارنا ونحن نعيش لحظة دفاع عن النفس، نعيش اليوم لحظة فقدان الجامع، واستبعد اللغة البكائية أو الهجائية، لان قاعدة التناقض والتدافع هي لغة التاريخ.

وأبدى الأستاذ قاسم قصير جملة من الملاحظات فقال إن الثورات العربية أنهت مرحلة قديمة، ومن مزاياها أنها أخرجت القوى الإسلامية إلى السطح. وأشار إلى فشل تجارب القوميين واليساريين والإسلاميين في توليهم الحكم، وطالب بأن تكون هذه القوى ديمقراطية حقاً عندما تستلم الحكم، معتبراً أن "داعش" إحدى تجليات الثقافة الإسلامية بكل وضوح.

وعرضت د. ليلى غانم للثورات العربية، وقالت إن انهيار مجتمعاتنا نتيجة فشل هذه الثورات، مشيرة إلى أن "داعش" نتيجة هذا الانهيار والفوضى، وقالت إن الفوضى النائمة نتاج محاولات إلغاء الدولة السيدة ونتاج تحولات انتقادية نيوليبرالية عالمية، مشيرة إلى أن العراق كان المختبر قبل وبعد الثورات العربية بسبب مساعي الاحتلال الأميركي في التفتت والنهب...

وأشادت بمواجهة حزب الله لهذه التيارات التكفيرية، وبما قام به الأكراد في روسيا في مواجهة داعش، وربطهم مصيرهم بمصير سوريا، وأيضاً في تجربة الحوثيين في اليمن من خلال رفضهم الوصاية الدولية، إضافة إلى الشعلة المضئية في المقاومة في غزة.

واعترف الوزير جورج قرم بعدم وجود رؤية لديه، وأنه لا يرى المستقبل، وقال: نحن في عز الفوضى التي نعجز علمياً عن تحديد مآلاتها.

وسأل لماذا الضياع إلى هذا الحد؟

واستغرب لماذا استمرار ثقافة الفتنة منذ 13 قرناً؟.

كما إنتقد السماح بإرسال عشرات آلاف الشباب العربي إلى أفغانستان في حين أن فلسطين رازحة تحت الاحتلال؟ ودعا إلى القيام بمراجعة للحقبات الماضية كي نبني على المستقبل.

ثم أبدى الأستاذ ميخائيل عوض ملاحظات منها موافقته على أن الثورات لم تنته، كما استبعد قيام شروط للتسويات، متسائلاً: هل من نهاية وبداية من دون تحولات؟

وقال إن الأمة التي لا تستطيع أن تبيع إلا ما فيها فلا تنتج سوى داعش.

وانتقد الدكتور رفيق علي صالح التركيز على المشاكل وعدم تقديم الحلول، متسائلاً، ما العمل؟ إضافة إلى تحديد أعداء العرب والمسلمين، مستشهداً بكلام السيد حسن نصر الله عندما حدد أن التكفيريين وإسرائيل هما أعداء هذه الأمة.

الجلسة الثانية

ترأس الجلسة الثانية من أعمال الحلقة د. محسن صالح الذي ركّز على مسألة الفكر السياسي، لان الفكر العربي أخفق في تمثيل القيم الفكرية السياسية، مشيراً إلى سيادة فكرة القيمة في الإسلام بدلاً من تبني أفكار ذات قيمة. ولفت إلى مجموعة التساؤلات التي دارت حول الثورات العربية.

ثم تحدث الدكتور منير الحمش (سوريا) متناولاً ما أسماها المسألة الأم وتتعلق بالتدخل الخارجي واستمرار الأنظمة الحاكمة الاقصائية في نهجها لتبقى الشعوب حائرة.

ورأى أن التحدي الرئيسي الذي يواجهنا هو تحدي المشروع النهضوي العربي وعرض للنظرة التاريخية للمشروع النهضوي العربي في بعض الحقبات بدءاً من مشروع محمد علي باشا مروراً بمشروع جمال عبد الناصر.

وتحدث الدكتور عصام نعمان فأشار إلى كيانات القبلية والطائفة والمذهب ورسوخ هذه الكيانات معتبراً أن ابرز ظاهرات هذه الأزمة أن الإنتماء إلى القبلية أضحي أوسع من الإنتماء إلى الدولة.

ورأى أن الصراع السني - الشيعي سياسي وليس مذهبي منذ القدم.

ونوه بالمقاومات التي اندلعت ضد الكيان الإسرائيلي منذ نشوئه، وخاصة المقاومة في العام 2006. ولفت إلى عاملين أجبا الصراع السني- الشيعي ولعب إسرائيل على تأجيج هذا الصراع وأيضاً مخاوفها من مشروع إيران النووي.

وتحدث الأستاذ أنيس النقاش واصفاً ما سمّي بالربيع العربي بأنه حراك مرقط. وقال: إن الحراك مرقط ومتعدد الألوان، أي أنه في جزء منه كان مصنوعاً كالثورات الملونة، وفي جزء منه تداعي الوضع الاقتصادي العربي، وأيضاً في ادوار دول إقليمية.

ورأى أن الفوضى الخلاقة تهدف إلى إعادة صياغة المنطقة بناء على تقسيم المنطقة طوائفياً ومذهبياً مشبهاً دور الإعلام العربي بالمكتب السياسي والحزبي في قيادة هذا الصراع الدائر.

وأشار إلى ظهور الهويات الفرعية الموجودة أساساً لأنها تحتاج إلى تحريك.. واقترح اختيار هوية اختيارية مشرقية حيث تشرق الشمس إيجاباً، ومنها قبول التنوع في مجتمعاتنا.

وتناول الدكتور زياد حافظ في ورقته مسألة القوى والهويات. وطالب بإعادة التركيز على الفكر الوحدوي العربي في الثقافة والسياسة.

كما طالب بمواجهة القوى التكفيرية التي لم تأت من فراغ، وإذ حمل الإعلام مسؤولية أن يكون إيجابي وموضوعي فإنه تطرق إلى ضرورة تحرير العقل والنفس، مطالباً الخطاب المشارك بالتغيير في اللغة والسلوك.

أما الدكتور منير شفيق فقد عرض لفقدان أميركا أحاديثها القطبية، وبروز قوى أخرى. وقال: في ظل هذه المعادلة الجديدة، تمت ولادة فوضى تشبه الرمال المتحركة. واستسخر نظرية الفوضى الخلاقة، ملاحظاً وجود فراغات أدت إلى تفجيرات فسارعت القوى التكفيرية إلى ملأ بعضها ومنها ظاهرة "داعش".

وتحدث د. بدر الإبراهيم (السعودية) فأكد أن ما حصل منذ العام 2011 هو حاجة شعبية ونتاج انهيار الدولة العربية التي فشلت في أن تكون دولة للمواطنين وان تكون دولة جامعة، مما أتاح المجال لبروز حركات مقاومة، وجماعات أخرى أصلية على أساس الهويات.

وتحدث النائب علي فياض فأبدى تأييده لنظرية جورج قرم حول عدم وجود رؤية مستقبلية لديه. وقال إن هناك ضحايا هم فلسطين والديمقراطية والدولة العربية، في حين أن الضحية الرابعة هو الإسلام. وانتقد الموقف الشوفيني من الغرب لأسباب حضارية ومعرفية. ولفت إلى أنه في الحالات الانتقالية تسود حالة حنين إلى الماضي، وولادة ديكتاتوريات ما وتصبح العوامل الطبقيّة والسلوكية عاجزة عن فهم ما يجري وتطرق إلى الربيع العربي، مشيراً إلى صعود داعش ودخولنا في مرحلة "الشذوذ" لاحتواء هذا الصراع المتفجر لان فكرنا السياسي أصيب بقوة.

أضاف: نحتاج إلى وقف انهيار الدولة العربية، وانهيار الفكر ورأى أن اقتراح الكونفدرالية المشرقية واقتراح المشروع النهضوي العربي لا نحتاجهما إنما نحتاج إلى مشاريع إنقاذية مؤكداً أن الصراع مفروض علينا ولا نسعى إليه، ونخوض هذا الصراع بأفق إنتاج حلول على الصعيد الداخلي.

وتحدث الأستاذ رياض صوما معلقاً على الصراعات التي جرت في الغرب التي حصلت من دون تدخل خارجي فيها، على عكس ما يجري عندنا، وأكد أن الأميركي خطط ولعب دور الصاعق واللاعب ويحاول الآن لعب دور المنقذ.

وأضاف: لقد أهلكوا الدول العربية، وفجروا النزاعات مع إيران وأجبروا المقاومات في الدخول في حالة الدفاع عن نفسها.

وقال: إن سوريا العربية تماسكت فمنعت انهيار الدولة. وطالب بالعمل على تأمين التعاون بين مصر وسوريا والعراق لمنع الأميركي من أن يكون اللاعب الأساسي في أي تسوية قادمة.

وكانت الكلمة الأخيرة للأستاذ وليد محمد علي فأكد على وجود صراع بين التيار السیادي والتيار التبعي. وطالب ببناء جبهات واسعة تضم كافة التيارات باستثناء القوى التكفيرية. وقال نحن ملزمين بإيجاد صيغ تعددية تحقق آمال الشعوب.